أسرار زيارة الأربعين

تقريراً لأبحاث

آية الله الشيخ محمّد السّند



بقلم: ابراهيم حسين البغدادي



أسرار

زيارة الأربعين

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

أسرار
زيارة الأربعين

تقريراً لأبحاث

آية الله الشيخ محمد السند

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي

١٤٣٣





الإهداء

إلى الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين ....

إلى زوّار وعشاق أبي عبد الله الحسين ...

إلى المشاة المنجذبة قلوبهم وروحهم إلى روح سيد الشهداء الحسين ...

إلى خدمة زوّار سيد شباب أهل الجنة الحسين ...

إلى كلٍّ من تعلق قلبه بسبط الرسول الحسين ...

إلى الذين يحرسون ويسهرون لحماية زوّار أبي الأحرار الحسين ...

إلى الدماء التي سالت من أجل الوصول إلى كربلاء الحسين...

إلى كل هولاء الأحباب أُهدي لهم هذا الجهد المتواضع

إبراهيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

إن هذا الكتاب هو عبارة عن بحث مستل من كتاب الشعائر الحسينية (ج٣) وقد ألقى هذا البحث - أسرار زيارة الأربعين - سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند بمناسبة زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام من هذا العام، وتعميماً للفائدة جعلنا هذا البحث في كتاب مستقل وهو الذي بين يديك، حيث بيَّن فيه شيخنا الأستاذ فلسفة زيارة الأربعين ومدى انعكاسها على الروح والنفس البشرية وما تلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام خصوصاً، ولشهداء الطف عموماً

حتى يعيش الفرد المؤمن من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكلٍّ حب ووداد إلهي، حتى انعكست هذه المناسبة العظيمة بصورة إيجابية على الساحة الدولية للمذهب الحق - مذهب ومدرسة أهل البيت عليهم السلام - حتى أخذت بعض الدول الكبرى تراقب هذه الملحمة الحسينية وهذا الحدث عبر الأقمار الاصطناعية لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط والمناطق الأخرى وباعتراف من بعض الساسة الدوليين كما سوف يتضح، كل هذا سوف تجده - عزيزي القارئ - بين طيات هذا الكتاب.

وأخيراً نسأل من الله القبول بمحمد وآله الطيبين الطاهرين إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

٨/ ربيع الاول / ١٤٣٣

ذكرى استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إبراهيم حسين البغدادي/ النجف الأشرف

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار قبر جدّه عليه السلام

روى مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقِيلَ لِي ادْخُلْ فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي مُصَلَّاهُ فَجَلَسْتُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ يَقُولُ:

يا مَنْ خَصَّنا بالْكَرامَةِ؛ وَوَعَدَنَا بالشَّفاعَةِ؛ وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأُمم السالفة، وَخَصَّنا بالوَصيَّةِ؛ وأعْطانا عِلمَ ما مَضى وعِلْمَ ما بَقيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النّاس تَهْوِي إلَيْنا، اغْفِرْ لي ولإخواني وَزُوّارِ قَبر أبي الحسين صلوات الله عليهم.

الَّذين أنْفَقُوا أمْوالَهمْ وأشخَصُوا أبْدانَهم رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِندَكَ في صِلَتِنا، وسُروراً أَدْخَلُوهُ عَلى نَبِيِّكَ محمد صلى الله عليه وآله، وَإجَابَةً مِنْهمْ لأمْرِنا، وَغَيظاً أدْخَلوهُ عَلى عَدُوِّنا.

أرادُوا بذلِكَ رِضوانَكَ، فَكافِئْهُمْ عَنّا بالرِّضْوانِ، واكْلأْهُم باللَّيلِ والنَّهارِ، واخْلُفْ عَلى أهالِيهم وأولادِهِم الَّذين خُلِّفوا

بأحْسَنِ الخَلَفِ وأصحبهم، وَاكْفِهِمْ شَرَّ كلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ؛ وكُلِّ ضَعيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَديد، وَشَرَّ شَياطينِ الإِنْس وَالجِنِّ، وَأَعْطِهِم أفْضَلَ ما أمَّلُوا مِنْكَ في غُرْبَتِهم عَنْ أوْطانِهِم، وَما آثَرُونا بِهِ عَلى أبْنائهم وأهاليهم وقَراباتِهم.

اللّهُمَّ إنَّ أعْداءَنا عابُوا عَلَيهم بخُروجهم، فَلم يَنْهَهم ذلِكَ عَنِ الشُّخوصِ إلينا خِلافاً عليهم، فارْحَم تِلكَ الْوُجُوهَ الَّتي غَيرتها الشَّمْسُ، وَارْحَم تِلكَ الخدُود الَّتي تَتَقَلَّبُ على حُفْرَةِ أبي عَبدِالله الحسينِ عليه السلام، وَارْحم تِلكَ الأعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُمُوعُها رَحمةً لَنا، وارْحَم تِلكَ القُلُوبَ الَّتي جَزَعَتْ واحْتَرَقَتْ لَنا، وارْحَم تِلكَ الصَّرْخَة الَّتي كانَتْ لَنا.

اللّهمَّ إني أسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ.

فما زال يدعو عليه السلام وهو ساجدٌ بهذا الدُّعاء، فلمّا انصرف قلت: جُعِلتُ فِداك لو أنَّ هذا الّذي سَمعتُ منك كان لِمن لا يَعرفُ الله عزّ وجلّ لَظننتُ أنَّ النّار لا تطعم منه شَيئاً أبداً!! والله لقد تمنَّيتُ أنّي كنتُ زُرْتُه ولم أحُجّ.

قَالَ لِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنْهُ فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ زِيَارَتِهِ؟ ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاوِيَةُ لِمَ تَدَعُ ذَلِكَ.

فانبرى معاوية وقد ذهل مما سمعه من الإمام عليه السلام في فضل

زيارة الحسين عليه السلام.

قائلاً: جُعلتُ فِداك لَم أرَ أنَّ الأمر يبلغ هذا كلّه.

يَا مُعَاوِيَةُ مَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهم فِي الْأَرضِ ولَا تَدَعْهُ لِخوفٍ من أحدٍ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَأى مِنَ الحسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ بِيدِهِ.

أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَرَى الله شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ فِيمَنْ يَدْعُو لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فيمَنْ تُصَافِحُهُ المَلائِكَةُ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يَأتي وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ فَيُتْبَع بِهِ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يُصَافِحُ رَسُولَ صلى الله عليه وآله[1]؟

(١) كامل الزيارات: ٢٢٨، ثواب الأعمال: ١٢٠، الحديث ٤٤، الكافي ج٤: ٥٨٢، الحديث ١١.

أسرار زيارة الأربعين

إن زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادىء، ومن ثم على رفعة معدن الذات والطينة الإنسانية، فبدل أن تكون خسيسة، دنيئة، دنية، أسيرة للشهوات أو للغرائز أو للدنيا أو لحب البقاء، وبدل أن تكون ذليلة ورهينة السفاسف سوف تتصاعد وتحلِّق إلى المعالي، وتبني شخصية الإنسان في هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة.

ولذلك نرى كلَّ المراقبين الدوليين المترصدين - ومن مصادر عديدة - يقرون بأن هذه الزيارة الملاييني هي أكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشرية بشكل عظيم، حيث يدربها على التضحية والفداء والعطاء. بحيث أي دولة كبرى لو أرادت أن تعبئ شعبها ولو لشرائح قليلة منه استعداداً لحرب - مثلاً - أو حرب طوارئ التي تطرأ على البلد فلا تستطيع أن تجند إلَّا القلة القليلة

وبالترغيب والترهيب، بينما في زيارة الحسين عليه السلام نجد الملايين من البشر، بل زحف بشري ملاييني وطوعي من نفس البلد ومن خارجه، فما هذه القدرة في التعبئة؟!

زيارة الأربعين والمراقبة الدولية

إن كلَّ المراقبين الدوليين على وجل وخوف من هذا المهرجان العبادي الروحي العملاق، لأن هذه الوقود والقدرة في التعبئة المليونية والسنوية لا يمتلكها أكبر نظام على وجه الأرض، ولا أي دولة عظمى ولا الوسطى ولا الدول الأخرى، بل حتى الدول الإسلامية بل وبصراحة حتى النظم الشيعية لا تمتلك هذه القدرة وبشكل لا ملل ولا كلل، وإنما الذي يمتلك هذه القدرة والوميض والمحرك هو الإمام الحسين عليه السلام وبشكل طوعي ليس فيه أي ترغيب أو ترهيب، بل فيه المخاطر والتضحية بالنفس والمال للزائرين المشاة بسبب الإرهاب الحاقد الأعمى البغيض.

فقد ذكر عدة من الإخوة من ذوي الرصد والمتابعة أن بعض الدوائر الغربية تجري دراسة خاصة سنوية عبر إذاعاتها ومواقعها وعبر الانترنت حول ما يفعله الخطباء والرواديد من تأثير في نفوس الشباب.

زيارة الأربعين والنظام البائد

وقد كان النظام البائد - كما جاءت الأنباء والمصادر بذلك - يستعرض فيلماً وثائقياً عن هذه الظاهرة الحسينية على أعضاء القيادة القطرية قبل سقوط النظام العفلقي بأشهر، وأخذ يستنطقهم ويستدرجهم لأخذ آرائهم في كيفية قمع هذا البركان الحسيني، فتخوف كل أعضاء قيادته ولم يجيبوا بشيء لا نفياً ولا إثباتاً خوفاً من غطرسة طاغيتهم، وبعد ذلك أجابهم أن هذا الزلزال الحسيني لم يهدأ أبداً ولكني في السنة القادمة سوف أفعل ما أفعل، وأخذ يتهدد ويتوعد بقطع الأيدي والأرجل والآذان - ولكن ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

فالذي كان يقرف العفالقة وطاغيتهم العفن خوفاً ووجلاً ومن وراء نظامهم دوائر دولية كثيرة هي المخططة لهذه الأمور هو أن هذه القدرة التعبوية الحسينية رغم إرهابهم لم يستطيعوا أن يوقفوا التدريب على الشجاعة والجرأة الموجودة في معسكر

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

الحسين عليه السلام فالعراق هو قلب الشرق الأوسط وهو مفرق جغرافي إلى قارة آسيا وأفريقيا فبالتالي هو مفرق الحضارات والأديان ومفصل لكل شيء، وهو قلب نابض والحسين رابط في هذا القلب وكلٌّ هذه القدرات التعبوية موجودة عنده عليه السلام.

المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني

ومن خلال ما سبق فإن الحسين عليه السلام هو الناصر لولده المهدي (عج) وهو الذي يعدُّ العدة له (عج) لأن هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد الحسين عليه السلام فهو الذي يوطىء للظهور ولنصرة ولده المهدي (عج) ومن هنا نستطيع أن نقول إن المهدي ينصر بالحسين عليه السلام ، وهذه نقطة مهمة.

والنقطة الأخرى أن المشروع المهدوي لا تقوم له قائمة بدون الحسين عليه السلام .

وبعبارة أخرى إن ولاء المؤمنين للإمام المهدي عليه السلام متشعب عن ولائهم واستماتتهم ومودتهم بجدّه الحسين عليه السلام وليس العكس، وهذه النقطة تبين موقع الاعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام وكيف هو متقدم على موقع الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام ويشير إلى مراتبهم عليهم السلام ما في الزيارة (لعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها)، فاعتقاد المؤمن أولاً

بالله وبالنبي ﷺ هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي (عج)، فكذلك اعتقاد المؤمن بأمير المؤمنين أولاً هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي عليه السلام ثانياً. وهنا كذلك فاعتقاد المؤمن بالإمام الحسين هو الذي يكسبهم الولاء للإمام المهدي عليه السلام، فواضح أن المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني، وبعبارة أخرى أيها المهدويون يا عشاق المهدي (عج) ويا عشاق الظهور والفرج بابكم الأوسع لنصرة الإمام المهدي (عج) ولإقامة المشروع المهدوي هو مشروع الحسين عليه السلام والشعائر الدينية وهذا أمر عظيم جداً يجب الالتفات إليه.

ومن ثم فزيارة الأربعين هي بنفسها وبحجمها الملاييني هي تربية على الإعداد للظهور وللمشروع المهدوي.

المراقبة الدولية لزيارة الأربعين

هناك مصادر موثقة وموجودة ولكن بما أن البحث بحث معرفي فسوف نعرض عن ذكر التسميات حتى لا يأخذ البحث مسارات أخرى.

هناك مراقبون دوليون يراقبون الظاهرة المسيرية الملايينية التي يخرج لها شعب بأكمله ومن جميع المحافظات، بحيث تفرغ أغلب هذه المحافظات عن بكرة أبيها، فلو نلاحظ أي تجمع بشري الآن وفي أي مدينة حتى من البلدان المتحضرة صناعياً وتقنياً كالغرب وغيره أنهم كم يحتاجون لأجل تجمع بشري ما من ناحية البعد الأمني إلى مؤونة لحراسة هذا التجمع، وكيف يتم تدبير الرعاية الصحية، الرعاية المرورية، رعاية التموين الغذائي، الرعاية الأمنية من داخل التجمع ومن خارجه، الرعاية في جدولة البرامج، الرعاية الإدارية في تنسيق هذه البرامج بين بعضها البعض، الرعاية البلدية وغير ذلك، وبعبارة أخرى مرافق الدولة بوزاراتها الخدمية وغير الخدمية وحتى السيادية لا تستطيع أن تنظم

مثل هذه الظاهرة المليينية إذا كانت في بقعة ومنطقة واحدة فكيف إذا كانت منتشرة على جميع الطرق من المدن المختلفة التي تؤدي نهايتها إلى كربلاء الحسين عليه السلام ولعدة أيام أو أسابيع.

فنظم هذه الأمور في علم الإدارة، العلوم الاستراتيجية، العلوم البلدية، علوم إدارة المدن لو تمت هذه العلوم في نظم هذا المجموع ورعايته فلا تستطيع السيطرة عليه بل هو خارج عن قدرة الدولة تماماً، فمثلاً الحج قد يصل عدد الحجيج فيه إلى ثلاثة ملايين ولأيام معدودة وفي داخل بقعة جغرافية محدودة وهي مكة المكرمة والمشاعر، وفي كلِّ هذا التطور الحاصل فيها من الأبنية والمرافق والمرور تقع فيها الضحايا والشكاوى وغير ذلك، فكيف بالانتشار البشري الذي يمر عبر طرق بين المدن والصحراء وبمسافات تقدر بمئات الكيلومترات، فكيف يمكن لدولة أن تنظمه، والحال أنه ليست الدولة هي التي تنظمه وإنما هو ينظم تلقائياً من المؤمنين.

أحد الرموز ذكر أن مسؤول القوات المسلحة للشرق الأوسط للإدارة الأمريكية راقب هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوعين أو أكثر وبث مباشر فانبهر وقال: أنا اعترف أنتم - الشيعة - أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

وهذا واقع وليس فيه أي تعجب، لأنه راقب الحدث مباشر فلم ير أي فتنة أو قتال أو عراك أو اصطدام أو إرباك، حسب ما يقول، في حين سمعنا وربما البعض منا شاهد ذلك أن الكهرباء انطفأت لدقائق قليلة في الدول المتحضرة في الآليات التقنية المعدنية والصناعية كالغرب فاختل الوضع الأمني حيث حصل سطو وسرقات، بينما هنا في زيارة الأربعين لم يحدث أي شيء من هذا القبيل، وهذا ليس بصدفة بل هو إعجاز ولكن لا الإعجاز بمعنى أن نرى يداً من الملكوت وإنما نفس برامج قيم وتعاليم أهل البيت عليهم السلام لحقائق القرآن هي إعجاز، فإن نور تربية أهل البيت عليهم السلام إعجاز، معارف وآداب أهل البيت عليهم السلام إعجاز.

زيارة الأربعين والمدينة الفاضلة

إن معسكر الأربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة أمام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الاجتماعية هي التي لا تحتاج إلى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا إلى مرحلة البلوغ العقلي والروحي والإداري والعلمي، فإن نسيجهم الطبيعي هو الذي يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقة هو غلبة العقل والنور على الغرائز، لأن الغرائز الهابطة الأرضية كما يصفها القرآن الكريم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] منشؤها هو الحرص والطمع وهذا ما بيَّنه الكتاب الكريم ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

فإذا كان العقل والنور والقلب يطغى فسوف تكون هناك جنة وأمان، ولهذا السبب نرى أكثر الحكام الجبابرة والأنظمة الحاقدة على مذهب أهل البيت عليهم السلام يتخوفون من هذه الظاهرة الحسينية وهذا ما أشارت إليه التقارير الدولية التي تراقب هذا الحدث بخفية وغير خفية.

فلا يمكن أن ننظر إلى زيارة الأربعين كطقوس عبادية محضة بقدر ما هو عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثاقبة، ومرآة ناصعة للبشرية.

فلو نلاحظ مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الأخلاقية وليس على الصعيد الفردي والأسري بل على الصعيد المجتمعي تتجسد في زيارة الأربعين، كحل الأزمة الاقتصادية، وحل الأزمة الأمنية، وحل الأزمة العنصرية والتمييز العنصري وغير ذلك من الأمراض الكثيرة التي تعاني وتقض من مضجع البشرية، كل هذه الأزمات حلولها في مدرسة ومنهاج الحسين عليه السلام فتعالوا واشهدوا هذا المجتمع الفاضل والمجتمع النوري، والذين يعيشون أيام مسيرة الأربعين يعيشون في الواقع حالة الصفاء الروحي والنوري ويتمنى كل فرد منهم أن يعيش هذه الحالة طول عمره.

ولهذا نرى المؤمن إذا دخل في معسكر هذه الأجواء للشعائر

الحسينية يعيش حياة هذا المجتمع النوري الفاضل ولكن إذا رجع إلى مدينته أو بيته وتناسى الحسين عليه السلام فبقدر ما نبتعد عن الحسين عليه السلام نبتعد عن هذا النور وعن هذه الجنة والجنان والمثالية، وبقدر ما نعيش ونقبل على الحسين عليه السلام نعيش هذه الجنان الحسينية كما روي عنهم عليهم السلام : من أقبل علينا أقبلنا عليه ومن أدبر عنا أدبرنا عنه.

فبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعيشون الصفاء والنور والثمار، وفي نفس الوقت يجسدون حاضرة متمدنة لم تشهدها إلى الآن البشرية، فهناك تحدٍّ بين قيادة سيد الشهداء وتأثير سيد الشهداء وتربية سيد الشهداء للبشرية وبين كل الحضارات والأنظمة والمدارس البشرية وكل المصلحين البشريين بما فيهم المسلمين والمؤمنين.

فلا يوجد أي مصلح غير الحسين عليه السلام يمكنه أن يربي ويصهر النفوس على مسار ذهبي ولو كان عالماً مؤمناً.

الحسين عليه السلام أسوة قدماً

ففي حديث عظيم لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف ولده الحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً.

يعني أنت منذ القدم أسوة وقدوة حتى للأنبياء والرسل، وهذه منقبة ومعجزة لسيد الشهداء عليه السلام كما أنه برهان عصري نشهده الآن، فباب الحسين عليه السلام وسفينته أوسع وأكبر، وما نشاهده الآن في المجتمعات البشرية المضرم فيها التكالب والتطاحن والحروب والعداوات والتي تئنُّ من الظلم الاقتصادي بسبب الأزمة المالية الراهنة الآن، ومن الظلم والتمييز الهمجي، وكل الأنظمة التي حكمت وجاءت بالاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية إلى الآن لم تقدم أي حلول لهذه الأزمات، وفي ظل هذا نرى هناك بيعة وانقياداً بشرياً طوعياً سلمياً سلساً وسنوياً لسيد الشهداء عليه السلام والقريب والبعيد والعالم وغير العالم تأثر في هذه المدرسة وفي هذه الدولة التي رقعتها النفوس والبشر وليس الجغرافية، هذه الدولة قائمة ومبنية على يد سيد الشهداء عليه السلام فكم هي قدرة قيادة الإمام الحسين عليه السلام للمجتمعات؟

وقول أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً يعني أن الحسين عليه السلام تأثيره ليس فيما بعد واقعة عاشوراء بل قبل، حيث علم به الأنبياء والأوصياء، فماذا صنع بهم الحسين لكي يكون لهم أسوة؟!

حيث إن الله عز وجل كان يوحي ويقص على الأنبياء ما يجري على سيد الشهداء عليه السلام في واقعة عاشوراء لكي يعظهم ويربيهم على الصبر[1]، وعندما يستعرض لهم واقعة عاشوراء كان يأخذهم البكاء، وهذا نوع من الآلية والبرنامج التربوي من الله عز وجل لأنبيائه كي يكامل بهم إلى المعالي، ومن هنا كانت مواقف سيد الشهداء في الطف التي هي بالقياس للأنبياء مستقبل.

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٢، الباب (٣٠) إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا صلى الله عليه وآله بشهادته.

الحسين يربي الأنبياء

وبذلك أصبح سيد الشهداء عليه السلام بهذا التقدير من الله عز وجل منذ القدم إماماً للأنبياء والرسل لما سيقوم به، وليس يقتصر ذلك على جانب الصبر والتحمل في الدين وجانب الإخلاص والخلوص وغير ذلك من الكمالات العظيمة، ولكن أيضا أحد الجوانب الأخرى وهو أن بكاء الأنبياء على سيد الشهداء عليه السلام نفسه هو برنامج تربوي روحي، فكما يبكون خوفاً من الله فبكاؤهم حزناً على الحسين يكامل ذلك البكاء، لأن البكاء يوجب رقة الروح، ويوجب تواضع الإنسان، ويوجب كبح هيجان الغرائز بل له فوائد للعقل لأن العقل يعمى بالشهوة، هذا بالنسبة إلى الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام فقد تطالعنا الروايات المستفيضة أن سيد العابدين عليه السلام قضى أربعين سنة من عمره في البكاء على أبيه الحسين عليه السلام حتى عدَّ أحد البكائين الخمسة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة (آدم، ويعقوب،

ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين) وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة[١].

فقد صنع الإمام الحسين عليه السلام لابنه السجاد عليه السلام جواً تربوياً وقلب حياته إلى رياضة ذكر الله تعالى عبر توجهه بالبكاء على أبيه إلى الله تعالى وهي أسلوب للشكاية من الظلم بتوجيه الشكاية إليه تعالى.

بل لنترفع أكثر، هناك روايات ومن مصادر الفريقين قد أحصاها الشيخ الأميني[٢] في خمسة عشر مجلساً أقامه النبي صلى الله عليه وآله بكاءً على سيد الشهداء عليه السلام وكذلك السيد شرف الدين[٣]، فقد أقام النبي صلى الله عليه وآله يوم ولادته وقبلها ويوم السابع من مولده وبعده في بيت فاطمة وفي حجرته وعلى منبره وفي بعض أسفاره وتارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلي وفاطمة، وكان

(١) البحار ج٤٦: ١٠٨.
(٢) سيرتنا وسنتنا للعلامة الأميني صاحب كتاب الغدير.
(٣) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة.

النبي ﷺ يجهش في البكاء، فبكاؤه ﷺ تعالي روحي، وإن كان سيد الأنبياء أعظم شأناً من سيد الشهداء ولكن نور الحسين يؤثر على نفس النبي ﷺ كما أن نور النبي ﷺ أعظم من نور الحسين ولكن نور الحسين عليه السلام يؤثر على بدن النبي ﷺ ويؤثر على النفس النازلة للنبي ﷺ يعني (حسين مني وأنا من حسين)، ولا يخفى أن بدن النبي ﷺ وروحه ونفسه أعظم من بدن وروح الحسين عليه السلام لكن نور الحسين عليه السلام إذا قيس إلى النفس النازلة للنبي ﷺ حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام هو قبل مقام النفس النازلة للنبي ﷺ صدوراً في عالم الخلقة لأنه أول ما خلق الله نور النبي ثم نور علي ثم نور فاطمة ثم نور الحسن ثم نور الحسين ثم الأئمة التسعة المعصومين عليهم السلام [(١)].

وهذا شبيه ما ذكرناه في مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام بالنسبة لتسمية النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام بأمّ أبيها، فكيف تكون السيدة الزهراء عليها السلام أماً لأبيها المصطفى وهو أبوها وسيدها، فإن نورها شيء والنفس النازلة للنبي ﷺ شيء آخر.

وهكذا الأمر في القرآن والعترة، ففي بعض الروايات إن القرآن هو الثقل الأكبر، وفي بعضها إن العترة هم الثقل الأكبر، وهذا ليس تناقضاً في الروايات وإنما كل طبقة صفتها هكذا،

(١) بحار الأنوار ج٥٣: ١٤٢.

فهناك طبقات في العترة إذا قيست مع الطبقات النازلة من القرآن فإن العترة هي الثقل الأكبر، والطبقات العليا في القرآن إذا قيست مع الطبقات النازلة في العترة فالقرآن هو الثقل الأكبر، وإن كان من حيث المجموع سيد الأنبياء هو سيد الأنبياء، ولذلك ورد في الروايات (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما)[١].

وهذا ليس معناه تفضيل فاطمة على النبي وعلي أو تفضيل علي على النبي ﷺ - والعياذ بالله - وإنما المقصود هو ما بيناه سابقاً، وهذا نظير (علي مني وأنا من علي)[٢] و(حسين مني وأنا من حسين)[٣] وورد (حسن مني وأنا من حسن).

إذن تداعيات نهضة الحسين عليه السلام أورثت للنبي ﷺ حالات روحية خاصة، وإلى الآن يقيم النبي ﷺ وعلي وفاطمة وذريتهما الرثاء لسيد الشهداء عليه السلام بل يزورونه هم وجميع الأنبياء، فإن أرواح النبيين عليهم السلام تستأذن الله في زيارته فيأذن لهم كما ورد ذلك في الروايات[٤].

وهكذا صنع سيد الشهداء عليه السلام مع باقي الأئمة عليهم السلام حتى

(١) مجمع النورين للمرندي: ١٤.
(٢) روضة الواعظين: ١١.
(٣) كامل الزيارات: ١١٦ ح١٢٧.
(٤) التهذيب ج٦: ٤٩، الوسائل ج ١٠: ٣٦٥، نور العين: ١٠٠.

قال الإمام المهدي (عج): (فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً) فلم يزل سيد الشهداء أسوة قدماً من الزمن الأول وإلى الآن كما ورد في قول[١] أمير المؤمنين له، وإذا كان هذا صنع الحسين عليه السلام بالمعصومين الأربعة عشر فكيف صنعه بالأنبياء السابقين؟ فحقاً كان سلوة وأسوة لهم في الصبر والتحمل والزهد في الدنيا وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً[٢].

(١) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب ٢٣ ح: ٣.
(٢) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب ٢٣ ح: ٣.

الحسين هو الذي يحكم العراق والبلدان
الحسين حاكم القلوب

فالحسين عليه السلام الذي قد استشهد قبل أربعة عشر قرناً لا زال مسيطراً على النظم البشرية وعلى المجتمع البشري أقوى من سيطرة أي نظام في العالم، وهذا ما نشاهده الآن في زيارة الأربعين، حيث يخرج زمام الأمر من يد الدولة ويكون بيد الحسين عليه السلام وهذا ما قاله بعض المسؤولين من أن الحسين عليه السلام هو الذي يحكم العراق خلال زيارة الأربعين.

ولو أطلق الفضاء للشعوب الأخرى حتى الغربية، إذا أطلق سراحهم عن سيطرة أنظمتهم لرأيناهم ينجذبون وينقادون للحسين وما تمليه مبادىء الحسين وقيم الحسين والجوّ التربوي لسيد الشهداء لعاشت البشرية في الجنان لأنه عليه السلام يحكم القلوب إلى الصفاء، وليست البشرية وحدها تنقاد له عليه السلام بل حتى الملائكة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ليس من ملك في السماوات والأرض إلا وهم يسألون

الله عزّ وجلّ أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج[1].

(١) كامل الزيارات: ٢٢٣.

المشي إلى العبادة عبادة

وهذه قاعدة فقهية وهي أن المشي إلى العبادة عبادة[١]، فهناك نصوص خاصة تدل على أن السير إلى سيد الشهداء كالسير إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة وله في كل خطوة حجة وعمرة وهذه بعض النصوص:

عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له قال: فقال: يا بشير إن الرجل منكم ليغتسل على شاطىء الفرات ثم يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فيعطيه الله بكلِّ قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومعها مائة عمرة مبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء الرسول[٢].

وأيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل منه[٣].

---

(١) قد أشار إليها الشيخ الأستاذ في بحث الحج على العروة الوثقى ولكن قرر الآن بعض الإخوة الأعزاء هذه القاعدة بشكل أوسع من السابق.

(٢) الكافي ج٤ : ٥٨١، كامل الزيارات.

(٣) وسائل الشيعة ج١١ : ٧٨

حرمة مناسبة وموسم الأربعين

وهناك قاعدة شرعية أخرى وهي أن حريم أي مناسبة شرعية لا يقتصر تبجليها وتعظيمها بيوم تلك المناسبة بل ما قبلها وما بعدها أيضاً لهما نفس حرمة ذلك اليوم، وهذا شبيه بحرمة الموقع الجغرافي المقدس مثل الكعبة جعل لها المسجد الحرام حرمة لها ومكة حرمة للمسجد والحرم المكي حرمة لمكة والمواقيت حرمة للحرم المكي.

وهكذا حرم المدينة المنورة جعل لها النبي ﷺ حرماً فهي تحيط بالمسجد النبوي.

وهكذا مرقد أمير المؤمنين عليه السلام حيث ذكر الشيخ الطوسي(١) أن الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام من ناحية القصر والتمام كالمساجد الأربعة التي يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلّل ذلك أن تمام الصلاة في مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام والقبر هو موضع الحرم ومركزه.

---

(١) المبسوط ج١: ١٤١.

فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربعة مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين بن علي عليهما السلام [١].

وأصل حرم أمير المؤمنين عليه السلام مرقده وفي شعاعه مسجد الكوفة.

وبذلك أفتى الشيخ الطوسي بل السيد المرتضى وابن الجنيد والشيخ حسين العصفوري بالتخيير في النجف الأشرف وكل المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام.

والحاصل أن المكان الجغرافي المقدس يؤخذ ما حواليه حريماً له ويتسع هذا الحريم، فكل ميقات جغرافي أو ميقات زماني له حريم والأمثلة في ذلك كثيرة لا يسع المجال لعرضها الآن.

ومن خلال كلِّ هذا يتضح أن ما قبل يوم الأربعين وما بعده هو من حريم يوم الأربعين، ويعتبر الأربعين موسماً كما هو الحال في موسم الحج، وهذا أمر له دلائل كثيرة لشرعيتها.

(١) التهذيب ج٥: ٤٧٥/ ١٤٩٤.

العلمانية الجديدة وزيارة الحسين عليه السلام

إن البعض من مدعي العلمانية الجديدة يستنكر قضية السير إلى الإمام الحسين عليه السلام لأنه يسبب تعطيل وتجميد حياة الكثير من الناس والمواطنين حسب ادعائه، وهذا البعض يرى أن الحضارة والتمدن هو القائم على طلبات البدن والمادة، وأما ما يتصل بالروح فلا نصيب له في التحضر والتطور، فتراه يستكثر أن تحصل عطلة مدتها اسبوعين لمهرجان روحي، تتبدل فيه الأنماط الخلقية الروحية من الأنانية الذاتية إلى روح التكافل الاجتماعي وإيثار الإخاء والتعاون المثالي وذلك في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام ، بينما تعطّل الدول الغربية قاطبة للأعياد المسيحية ورأس السنة الميلادية لنفس هذه المادة وأكثر فلا يستكثرها وهو قابع في أحضانهم، مع أن تلك الأعياد عندهم قائمة على التوغل في الفحشاء وانهدام الأسرة، فها هو الغرب يعاني من خطر يهدد حضارته المادية وهو الشيخوخة وقلة النسل، المنذرة بانقراض تلك الشعوب وزحف المد البشري الإسلامي ووراثته لبلدان الغرب، وهذا مؤشر استراتيجي لأن الحضارة لا يمكن أن تقوم

على البدن والمادة وحدها، بل لابدَّ من استيفاء نصيب الروح فيها كذلك، فإن الخلقة الإلهية قائمة على التركيب بين الطرفين.

ألا يرى هذا المنبهر بالمادة والقائل بأن النجاة هي بالطواف المركزي حول المادة، ألا يرى أن الباري تعالى شرع موسم الحج لبيته الحرام ثلاثة أشهر من السنة، وأن مراسم الحج لا تستغرق أكثر من أسبوعين لغالب من يحج من المسلمين، بل جعل تعالى العمرة مندوبة في كل شهر من أشهر السنة، وجعل بيته الحرام الكعبة مثابة للناس على طول السنة، وذلك حفظاً للتوازن بين المادة الروح، وبين الدنيا والآخرة، بل إن عمارة المادة والدنيا لا قوام لها إلا بعمارة الآخرة، كما أن طريق الآخرة يمر عبر الدنيا، فهلاك الروح هلاك للمادة الذي يحرص عليها كل الحرص هذا البعض.

إن النشاط والعمل والجدية لا تنحصر ببرامج الدنيا والمادة، فإن للروح برامج وعملاً ونشاطاً، فهل توزيع الوقت على كلا الطرفين يعتبر كسلاً وعطلاً وفشلاً؟ ألا يعلم هذا البعض أن أسباب الأزمة المالية التي يعاني منها الغرب والعالم عدة سنين حالياً ترجع أسبابها الخلفية إلى انعدام فلسفة الفضيلة في الاقتصاد الرأسمالي القائم على الشره والحرص والطمع اللامحدود، والاستهلاك المادي المفرط بلا قناعة، وانفجار الغرائز الحيوانية

بشراسة، الأمر الذي يبدو كأنه يروق لهذا البعض، فيعتبر ذلك نجاة للأمة، وأما نمو وازدهار الفضيلة الروحية عبر أسبوعين من مراسم ذكر الصالحين من البشرية فيراه هلاكاً للأمة، نعم إنه هلاك ولكنه لعنف الشره الغريزي الحيواني، إنه هلاك لشراسة الأخلاق المادية، لكنه نجاة للفضيلة الروحية والتربية السامية، ألا يرى كم تصرف الدول على التربية من الأوقات والأموال، أفي ذلك هلاك؟! نعم في ذلك هلاك للرذائل المزيلة لأمن المجتمع واستقراره ورقيه.

ألا يرى هذا كم تصرف الدول في جانب الثقافة، من الأوقات والأموال، أفي ذلك هلاك؟! وكم ينعجن ثقافياً من يتردد على مجالس الوعظ والخطابة، ألا يرى كم تصرف الدول في جانب التربية التعبوية العسكرية والأمنية لمجتمعاتها، كي تزيد من تنصيب القوة الروحية الدفاعية لها؟

وكم يتعبأ روحياً وحماسة الذي يشترك في مجالس العزاء على قادة الفضيلة والصلاح من أئمة أهل البيت عليهم السلام فتزيد من صموده وثباته وشجاعته وإعداده الروحي للمقاومة؟ ألم تنتصر المقاومة من أتباع أهل البيت عليهم السلام الإسلامية في جنوب لبنان على الأسطورة الإسرائيلية التي هزمت جيوش كل أنظمة العرب طيلة خمسين عاماً؟ وذلك بفضل كل من الإعداد الروحي المقام

والإعداد العسكري الآلي، والإعداد الروحي، ألم يكن ذلك بشعار (يا حسين) (يا أبا الفضل العباس) فلماذا يتعامى هذا البعض عن كل هذه البركات لشعائر ومراسم العزاء؟

ألم تبق هذه الشعائر في مقاومة ومواجهة البعث وصدام حتى أطاحت به؟ ألم ير هذا البعض أن قوة روح شعب العراق في مواجهة الإرهاب والتكفيريين إنما هي ببركات المشاركات في هذه الشعائر، فلماذا يريد أن يخسر الشعب كل هذه القوة والعظمة والمجد؟ ولماذا يغيظه قوة الأمة الإيمانية وها هي تنتشر في أرجاء الأرض ناشرة بذلك ما يسعد البشر من روح السلم والتآخي والمودة والألفة.

ثم ألا يرى إلى القرآن الكريم كم يمتدح البكاء والحزن ويذم الفرح والبطر، فإن الحالة الأولى كفيلة بردع غرائز الإنسان عن الطغيان والعتو فيأمن المجتمع من الفراعنة والطواغيت، بينما الحالة الثانية تولد في المجتمع الأنانية والذاتية والطغيان، فإن الإنسان يحتاج إلى دوام التذكير والوعظ كي لا يفشو التكالب والتقاتل على الأموال، وعلى القدرة، بل إن البكاء والحزن يبث روح المسؤولية والخدمة للآخرين فيا أيها البعض لا تغتظ من هلاك الرذيلة وهلاك الضعف الروحي في الأمة.

ولا تغتظ من نجاة الفضيلة وأسباب القوة وازدهار الحضارة.

والغريب من هذا البعض الذي يتخوف على المتدينين والمقيمي العزاء لأهل البيت عليهم السلام يخاف عليهم ردة الفعل والتحلل من ثوابت الدين مع أن هذا البعض وجملة من رفقائه في فكره قد تبنوا العلمانية الجديدة (الحداثويات) طولاً وعرضاً حتى تملص كثير منهم من الثوابت القرآنية.

سرُّ التركيز على زيارة الحسين عليه السلام

هناك إثارة يثيرها البعض وهو أنه لماذا هذا التخزين الكثير والتعبئة النفسية، وشحذ الأنفس بنحو الدوام والتكرار لمصاب سيد الشهداء عليه السلام سنوياً ويومياً (السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة)(١) بل في كل ساعة وآن، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن زيارة الحسين عليه السلام فقيل له: هل في ذلك وقت أفضل من وقت؟

فقال: زوروه صلى الله عليه في كلّ وقت وفي كلّ حين، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع فمن أكثر منها استكثر من الخير، ومن قلل قلل له(٢).

فما هو السرُّ في هذا التركيز والتكرار؟ هل هي تعبئة أحقاد أم هي تعبئة انفعال وانفجار؟!

هناك أسرار كثيرة للإجابة على هذه الإثارة ومن الطبيعي أن

---

(١) البحار ج٩٧: ٢٨٧.
(٢) الوسائل ج١٤: ٤٧٣.

هذه الأسرار لا نستطيع الإحاطة بها بقدر ما استطعنا أن نفهمها من بيانات القرآن وبيانات مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

السرُّ الأول:

إن مشروع أهل البيت عليهم السلام من أضخم المشاريع الإلهية، وهذا المشروع يحتاج إلى وقود وطاقة ضخمة، ومرَّ بنا أن هذه الطاقة الضخمة هو الإمام الحسين عليه السلام .

إذن: هذا التركيز ليس عبطاً بل له غاية كونه مشروعاً يهيمن على كافة أرجاء الأرض ويستمر إلى يوم القيامة فلابدَّ أن يؤمن الجهد والطاقة لهذا المشروع اللامتناهي.

السرُّ الثاني:

وهو أن الإنسان يحتاج إلى دوام الذكر، ومرَّ بنا سابقاً أن البكاء يكبح الشهوات ويكبح الغرائز ويكبح القوى النازلة للإنسان، وفي نفس الوقت ينير القلب ويقوي العقل، فالإنسان دائماً يحتاج إلى توازن وترويض ومسك زمام للغرائز النازلة، ومن هنا فالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام من أقوى الأبواب للوصول إلى هذه الغاية وهو الدوام والسيطرة على الغرائز بشكل متوازن كما ذكرنا، والخلاص من ميول النفس الدائم جذبها للإنسان، فلابدَّ من دوام المثير لها إلى الصعود عن التلوث في نقع الرجاسة وهذا المثير هو سيد الشهداء عليه السلام .

فهو عليه السلام ثورة على النفس في انحطاطها في براثن الشهوات والغرائز، وطيران إلى سماء العلو في الفضائل والسمو إلى النور والصفاء والطهارة القدسية عند الساحة الربوبية وتصوير أوضاع عصره عليه السلام وكيف تبرثن وتسربل كثير من نجوم ووجوه عصر ذوي الأسماء اللامعة من الصحابة وأولادهم في الدنيا وحب البقاء في الملاذ والوداعة ولو على حساب الدين، فثار من حضيض السقوط لدى معاصريه وأهل عصره إلى أوج العهد النبوي وإحياء ذكر الآخرة وسرعة الاندفاع في طلاق الدنيا والدنية، وكالشهاب الثاقب في الصعود إلى المعالي الروحية، والتحرر من أسر الأطماع النفسية والحرص الغريزي وحبس الشهوات والهوى إلى رحاب الخلاص في الخلوص من حب النفس واللذات.

الفرق بين المعسكرين

إن المشهد النفسي والروحي في واقعة كربلاء المتمثلة في شخصيات المعسكرين، عندما تتمثل للإنسان كشريط مسجل مرئي (فيلم) نشاهده في الخاطرة، وشدة الامتحان النفسي في الجانبين لا سيما مع المراهنة بين الهوى والميول النفسية مع أصل الدين الذي يمثله الحسين عليه السلام من وجود النبي صلى الله عليه وآله الذي هو أصل الدين الذي ارتد الناس عنه بقتل الحسين عليه السلام شحن مجمع الرذائل النفسية المتمثل في معسكر بني أمية وشحن مجمع الفضائل في معسكر أهل البيت عليهم السلام .

وبعبارة أخرى حضيض النفس في المعسكر الآخر، وأوج النفس في معسكر سيد الشهداء، فدوام ذكر هذا المشهد بتفاصيله وبأمثلته الكبيرة التي تتعرض إلى جهات عديدة في النفس البشرية تعطي للإنسان عبرة عن الوقوع في المستنقعات الكثيرة لدى النفس.

السرُّ الثالث: طاعة أولي الأمر أو المعصية:

وهو أن الله عزّ وجلّ قرن طاعة رسوله ﷺ بطاعته في عشرات الآيات ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[1] كما أنه في آية من الآيات قرن الله تعالى بطاعته وبطاعة النبي قرن طاعة أولي الأمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] وكما بيَّنا في بحوث سابقة أن (الأمر) هو الذي يتنزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3].

وكما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾[5].

وهذا - الأمر - نفسه هو الروح الأمري الذي ذكره تعالى في سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾[6].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) سورة القدر، الآية: ٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ٢.
(٥) سورة الدخان، الآيات: ٣-٥.
(٦) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

فعالم الأمر يعني عالم الإبداع وعالم الملكوت فأولوا الأمر ليس معناه دائرة صغيرة والتي هي الشؤون العامة السياسية، بل العالم الملكوتي يشمل الأرض وما عليها وبقية عوالم الخلقة، وليس محبوساً ومقتصراً على الشأن السياسي بل يشمل ساحات وميادين وبيئات أخرى كثيرة.

ومن خلال هذا يتضح أن الله تعالى أمر بطاعتهم المطلقة والمقترنة بطاعة الرسول ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ مقترنة بطاعته سبحانه وتعالى، وهذا يعني أن هناك رديفاً تبعياً لطاعة الله بطاعة الرسول ﷺ، ورديفاً تبعياً لطاعة الرسول بطاعة أولي الأمر، وهذه طاعة عظيمة الشأن وهي تستدعي انقياداً تاماً من الإنسان لأصحاب ولاية الطاعة، بل جعل الله تعالى مودة وقربة النبي ﷺ أجر رسالته ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

فهذه معادلات وحلقات واضحة في أن الروح الأمري ينزل على من هم أصحاب القرآن في الكتاب المكنون أو في اللوح المحفوظ وهم المطهرون ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] وهم أصحاب الكتاب الذي هو الأمر الذي يتنزل ليلة القدر والذي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[3].

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

فهؤلاء المطهرون الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ سوف ينقاد الإنسان إلى طاعتهم وولايتهم عندما يتعرف على المزيد من فضائلهم ومصائبهم بشكل رتيب راتب، وكلما قلت معرفة الإنسان بفضائل أهل البيت عليهم السلام وبمدى مقاماتهم في المحن والابتلاءات، كلما صار انقياده إليهم أقل وبالتالي سوف يعصي الله في عدم الطاعة بالانقياد المطلق.

طاعة أولي الأمر طاعة الدين

فـ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي أطيعوا الله في كلِّ الدين، وكذلك إطاعة الرسول ﷺ في كلِّ الدين أعم من القضاء والتشريع وأعم من السلطة التنفيذية، بل في كلّ الدين بما للدين من سعة التي تعم الدنيا والآخرة.

وبما أن طاعة أولي الأمر مقرونة بطاعة رسول الله ﷺ فأيضاً كذلك أولي الأمر طاعتهم هي طاعة الدين بما للدين من سعة، ومن هنا فلا ينقاد الإنسان إلى مثل هذه الطاعة الشديدة والمهمة إلَّا إذا عرف المزيد من فضائلهم، ولا ينجذب إليهم إلَّا بالمزيد من معرفة محنهم ومصائبهم، فكثرة ذكر سيد الشهداء عليه السلام ومصائبه ومحنه وفضائله ومقاماته توجب جذب الإنسان إليه، وبالتالي سوف يطيع الله تعالى ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريته عليهم السلام والذي هو الانقياد للدين كله.

وبقدر ما تنقص معرفة الإنسان بالحسين عليه السلام وبأهل بيته بقدر ما ينقص انقياده اتجاههم عليهم السلام .

عن عبد العزيز القراطيسي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء حتى انتهى إلى العاشرة قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته[١].

فإن سلمان رضوان الله عليه انقياده لأمير المؤمنين عليه السلام أشد من أبي ذر رضوان الله عليه.

إذن هذا المقام الكبير إنما يصل الإنسان إليه بسبب كثرة وشدة ذكره لهم صلوات الله عليهم، وهذا لا يحصل إلّا بـ (السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة) يعني الرتيبة كل ساعة وكل آن وكل يوم وليس كل موسم مثلما نقول الراتبة يعني الراتبة والدئيبة والدؤوب.

(١) الخصال للصدوق: ٤٤٨.

السرُّ الرابع: زائر الحسين يعيش همَّ المستضعفين:

إن الإنسان تكون خواطره دائماً وقلبه تحوم حول اهتمامات المعيشة أو حول اهتمامات ذاته من أن هذا يؤذيني أو هذا يبغضني أو هذا يحبني، والمهم أنها تدور حول الأنا التي نسميها بالأنانية أو فرعونية الذات أو النفس، وإذا ترك الإنسان هكذا فسوف يعيش هموم نفسه ليلاً ونهاراً، ولكن إذا تعلق الإنسان وانجذب في سيد الشهداء عليه السلام أكثر وعاش همَّ الحسين لا همَّ نفسه وكان هذا الانجذاب بحب وبشفافية فسوف يعيش همَّ الحسين عليه السلام وليس همَّ نفسه من أنه كيف ظلم؟ ومتى ينتقم الله تعالى له؟ ومتى ينجز الله وعده على يد الحسين عليه السلام أو ولده المهدي (عج) ويقيما دولة العدل؟ وهكذا.

إذن هناك فرق بين هذين الهمّين اللذين هما همّ نفسه وهمَّ الحسين عليه السلام فإذا عاش همَّ الحسين عليه السلام فبالتالي سوف يعيش همَّ الدين، وهمَّ علو كلمة الإسلام، علو كلمة الإيمان، علو كلمة الحق والعدل، علو نور أهل بيت النبوة، فأين هذا الهمَّ بالقياس إلى همَّ الإنسان المتقوقع والمتقزم في دائرة نفسه؟.

فإن كثرة ذكر سيد الشهداء عليه السلام يرقي الإنسان من حضيض أنانية النفس إلى أوج أهداف الدين النورانية، ومن أقصر الطرق لطيران الإنسان في همِّه من حضيض نفسه إلى أوج نور الإيمان

والولاية هو انجذابه للحسين عليه السلام وبالتالي سوف يورث الخلوص والإخلاص العظيم الموجود في الإنسان ويحرِّره من هذه التعلقات النفسانية التي في ذاته، وهذا السرُّ نراه في مشاية زيارة الأربعين، فإنهم - لا أقل في زيارة الأربعين - يخرجون من كونهم بشراً إلى ملائكة خلقاً وأدباً وإيثاراً وتسامحاً. لأنهم يعيشون همَّ الحسين عليه السلام بدل أن يعيشوا همّهم، وهذا مما يقلب ويصهر جوهر ذاتهم إلى الفضاء الرحم النوري والأخروي الإلهي بتوسط الحسين عليه السلام فلا تحدث أي حادثة في طريق الحسين عليه السلام لأن الحادثة إنما تقع متى ما كانت النفوس ضيقة وحريصة وذات أطماع، أما إذا كانت تلك النفوس عالية الهمة فلا يحدث بينهما أي اصطكاك أو عراك.

ومن هنا سوف يكون الحسين عليه السلام قبلة وكعبة القلوب وليس قبلة الأبدان، فإن طافت القلوب بهذه المصيبة الراتبة وطافت حول كعبة روح الحسين فهي قد وصلت إلى الله عز وجل، كما روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام (من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه)[1].

لأن الحسين عليه السلام هو متفانٍ في الله عز وجل وذائب فيه، فمن يذوب في من ذاب في الله عز وجل فسوف يذوب في الله عز وجل،

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٨.

ومن يفد على الحسين ﷺ فهو يفد على الله عزّ وجلّ لأن سيد الشهداء سوف يوصله إلى الساحة الإلهية، وبالتالي سوف يعيش همَّ الدين وهمَّ المظلومين وهمَّ المستضعفين وهمَّ المحرومين.

السرُّ الخامس: كتاب اسمه الحسين

إن الله عزّ وجلّ قدَّر أن يكون الحسين ﷺ مصدراً وملجأً ومركزاً ليس لاصلاح المؤمنين فقط بل لعموم البشر، ومن ثم قدر أن علمه يبقى على مدى الأيام يرفرف على كلِّ المظلومين والمستضعفين كما صرحت بطلة كربلاء ﷺ بذلك وهي تخاطب سيد الساجدين ﷺ . . . وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً . .)[١].

وهذا معناه أن الباري لكي يستصلح البشرية في مرحلة الإصلاح والاستصلاح في طريق الكمال لابدّ أن تمر في مدرسة الحسين، ولابدّ أن تتعرف كلّ البشرية على سيد الشهداء ﷺ لتعلم أن هناك حلاً بين جذبات وغرائز النفس الخسيسة النازلة وبين إمكانية التغلب على كل هذه التعلقات في أي ظروف وفي

(١) كامل الزيارات: ٢٢.

أي بيئات إلى الطيران نحو نور الكمال ونور الصلاح والإصلاح والفضائل، وهذا مثل إلهي عظيم أراد الله أن تبقى شجرة زيتونة مباركة كنور لجميع البشرية، ولذلك لابدَّ أن يبقى ذكر الحسين عليه السلام يعبأ ويشحذ بصورة أكثر وأكثر حتى يصل شعاعه إلى كلِّ البشرية، فلا يُخمد ولا يُطفأ ولا يُحجب.

فهذه التعبئة وهذا الشحذ الكبير حتى من المؤمنين التي نظرتهم ضيقة وأفقهم ضيق وإن كانوا ينجذبون في واقعهم إلى الحسين عليه السلام ولكن في بعض الأحيان تخالجهم هذه الأمور الضيقة، وهو لا يدري أن هذا العَلم قد قدَّر الله له أن يرفرف على كلِّ البشرية كما في راية الحسين عليه السلام، وراية ظهور المهدي (عج) لأنها راية نبراس تستضيء به نفوس البشر ودول البشر كلها لاستصلاحهم، فليس في التقدير الإلهي أن الحسين يستصلح مقتصراً على فئات قليلة في بلدان الشرق الأوسط، بل قدر الله تعالى أن يكون الحسين عليه السلام مصلحاً لكل البشر حتى قبل ولده الموعود المنتظر عليه السلام فإنه من الطبيعي أن الله لا يخمد هذا العلم بل كل يوم يزداد اتساعاً وتعبئة ليصل صداه وتصل هذه النعمة العظيمة لكل العالم كمأدبة نورية تستضيء بها البشرية بأجمعها، إذ إنه إلى الآن لم تصل إلى كل البشرية، فنحن إلى الآن لم نقم بحق ما تستحقه هذه الشجرة النورية بكل أغصانها من إعلام ومن إحياء ومن فضائل مجلجلة ومن روح نورية جذابة، فالمفروض أن

يشاركنا كلُّ البشر في التنعم بها، وإلّا فنكون نحن سبباً من أسباب حرمانهم.

ولهذا فإن البشرية إذا أرادت أن تتكامل وتسعد فلابدّ لها أن تقرأ كتاباً اسمه الحسين عليه السلام، ولابدّ أن تتعلم في صف اسمه الحسين عليه السلام، ولابدّ أن تمر بمرحلة من مراحل فكرها وعقلها وروحها بمرحلة اسمها الحسين عليه السلام حتى تصل إلى الحسن ثم فاطمة ثم علي ثم رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم رأس الخيمة لمشروع الإمام المهدي عليه السلام.

أرواحكم في الأرواح

فإن كلَّ روح لها علاجات، وكلّ بدن له علاجات، وقد قدر الله عزّوجلّ أن تكون حقيقة الحسين عليه السلام بما فيها من جمال وكمال وفضائل هي من العلاجات التي (أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وأجسادكم في الأجساد)[1].

وهذا يعني أن كلّ نفس لابدّ أن تتغذى بهذا المنبع الروحي، وإلّا فلن يكون للنفس توازن، وبصيرة ونور وتكامل، وهذا شبيه ما هو موجود في علم الرياضيات حيث إنه لا يمكن أن يتخطى أي مرحلة من المراحل التي قبل ذلك لأن كل مرحلة لها قوام في علم الرياضيات، والنفس في علم الفطرة هكذا، فلابدّ لهذه الأنوار الخمسة التي أكد عليها القرآن في سورة النور أن تضيء لكل فطرة روحية، ولابدّ أن تتلقاها وإلا فلا يمكن أن تتوازن ولن تسعد ولن تتكامل ولن تصل إلى الفضائل، فإن مصباح الهدى وسفينة النجاة ليس لمجتمع خاص بل لكلّ البشرية ولكلّ

(١) بحار الأنوار ج٩٩: ١٠٧ دعاء الندبة - والزيارة الجامعة.

الأجيال، وهذا ما صرح به النبي ﷺ (إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[١]، ومعنى هذا أن الله أعظم الحسين عليه السلام أن يقتصر ويكون لقرن أو قرنين من الزمن، أو لمنطقة الشرق الأوسط، بل قدّر سبحانه وتعالى أن يكون هذا عطاء منه لكلّ البشر (فلا يزداد أثره إلا علواً).

(١) مدينة المعاجز ج٤: ٥١.

الحسين هو القرآن المتجسد في واقعة كربلاء

إن استعراض واقعة عاشوراء عبارة عن استعراض مشهد مرئي أمام الإنسان، حيث يرى فيها امتحانات وتجارب وأمثلة كبيرة، وكيف أن النفوس سقطت بأسباب مختلفة وبسبب فتن وقوى نفسانية مختلفة، وفي المقابل كيف نجحت نفوس أخرى وصعدت واعتلت؟

إن هذا المشهد النفسي والروحي الذي فيه العشرات بل مئات النماذج هي مدرسة تربوية للإنسان بشكل عميق جداً، ولذلك فإن الإنسان يحتاج دائماً إلى هذا القرآن المتجسد في واقعة كربلاء، حتى يتلوه ويحفظه ويذكر به نفسه لأن فيه آيات كثيرة، فكل واقعة آية، وكل حدث في كربلاء آية، وهذا ليس صدفة إذ قد جعل الله عزّ وجلّ الإمام قرآناً ناطقاً بل هو قرآن عيني، وبالتالي فكلّ ما يدور حوله هو آيات وسور وإذا أردنا أن نلمس بشكل مرئي محسوس الآيات القرآنية والسور، والبنود التي فيها هي في واقعة

الطف، التي بدأ مشوارها من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء ثم إلى الشام ثم إلى كربلاء ثم المدينة.

وهذه المسيرة هي عبارة عن صفحات عديدة من القرآن أو من الآيات والسور، وإذا تدبرنا فيها ملياً ومرة بعد أخرى فسوف نجد فيها كنوزاً وخزائن لا تنفد، والكثير منا لاحظ هذا الأمر أن كل إنسان إذا تدبر في واقعة عاشوراء كل سنة فسوف يكتشف ويقف فيها على عبر وأسرار لم يلتفت ويتفطن إليها من قبل كما هو الحال في القرآن الكريم.

فإن القنوات الفضائية في العالم كلها احتشدت في أول أربعين بعد سقوط النظام البعثي، حيث كان في انطباعهم أن هذه المسيرة وهذا التجمع الملاييني هو حدث سياسي مرتبط بخصوص تشكيل النظام الجديد وليس له أي مساس عقائدي، كما يفعلون في المهرجانات البشرية السياسية العادية، وما نقلوه وسجلوه في خلال ثلاثة أيام من مشهد الأربعين أصبحوا في ذهول وإعجاز وإعظام وإكبار لقضية عاشوراء وشخصية الحسين عليه السلام، حتى أن بعض الإخوة رصد الكثير من الفضائيات الدولية وخصص بعض المراسلين للحكاية عن واقعة عاشوراء أو الأربعين الشيء المذهل ولقطات مثيرة في نشر حقائق واقعة الحسين، وهذا كله يفرح قلوبنا بصدق الوعد الإلهي ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

الشعب يريد الحسين

ولو أردنا أن نسرد جملة من الوقائع التي نقلها بعض الإخوان وبوسائط قليلة عن أحداث أو نخب في البشر متأثرة بسيد الشهداء لضاق بنا المجال، ولكن الحسين عليه السلام نور وبركان يسري تحت السطح، وسوف يأتي ذلك اليوم الذي تصل فيه البشرية إلى مستوى الوعي، وبدل أن تقول الشعب يريد إسقاط النظام الجائر والظالم سوف يهتف ويقول الشعب يريد الحسين والشعب يريد المهدي.

لأن كلّ البشرية سوف تعلم أن أساس العدل متجسد كله في الحسين، والسعادة متمثلة بالحسين عليه السلام فإنهم أيقنوا أن الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والحرية الجنسية وشعار العدالة حسب النظم والتقنيات البشرية والمساواة كلها آلت إلى السقوط وفشلت كل أنظمتها، فإذا وصل الوعي البشري إلى أن الحرية والعدالة المأمولة المطموح لها هي برنامج خزنه الله في حاسوب إلهي وهو الحسين عليه السلام.

فإن العدالة الحسينية لا توجد في كتاب ولا في رسالة أو أطروحة الجامعات، ولا توجد في مراكز الدراسات ولا المختبرات، ولا في أطروحة عقول البشر، بل نظام العدالة موجود فقط في علوم الحسين عليه السلام .

الإمام الحسين والرجعة

وهناك نقطة مهمة قد غفل عنها الكثير، وهي كما نحن نطالب ومأمورون بالفرج لظهور الإمام المهدي كذلك نحن مطالبون في أن نطلب وندعو من الله بظهور الإمام الحسين عليه السلام نفسه ليرجع بعد ابنه المهدي (عج) ليقيم الله العدل في الأرض على يديه عليه السلام، وهذا في الحقيقة نوع ومرحلة من الرجعة.

فالرجعة عبارة عن أن الشعوب والطبيعة البشرية إذا وصلت إلى ذلك الوعي فسوف تطلب وتريد وتطمح إلى ذلك العدل الذي برمجه الله تعالى في الحسين عليه السلام وهذا البرنامج غير موجود وغير محتفظ في عقل آخر، ولا في روح أخرى، ولا في أي قائد آخر، فإن العدل الذي يظهر على يد سيد الشهداء عليه السلام أعظم من العدل الذي يظهر على يد الإمام المهدي (عج) حسب ما صرحت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام.

فعن رفاعة بن موسى قال: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين ابن علي عليه السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو

القذة بالقذة. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نقيراً)[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أول من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر[٢].

وأيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام، فقلت: معه الناس كلهم؟ قال: لا بل كما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٣] قوم بعد قوم[٤].

فإن عقيدة الرجعة هي فهم أعمق لمعرفة الحسين عليه السلام فـ(من زاره عارفاً بحقه)[٥] أحد درجات معرفة الحسين عليه السلام هو الحسين المستقبل وليس الحسين الماضي فقط.

---

(١) تفسير العياشي ج٢: ٢٨٢.
(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٨.
(٣) سورة النبأ، الآية: ١٨.
(٤) المصدر السابق: ٤٨، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: ٣٣٨.
(٥) كامل الزيارات: ٢٦٢ - ٢٧٨.

برنامج المعصوم أمل البشرية

إن البشرية الآن بدون انقيادها للمعصوم عاجزة أن تبدي أي برنامج اقتصادي عادل تنظيراً فضلاً عن التطبيق والتنفيذ والإجراء العملي، وعاجزة عن أن تبدي نظام بنك مركزي عادل، أو نظاماً زراعياً عادلاً بحيث لا يظلم فيه بيئة عن بيئة لأنهم إذا أرادوا أن ينمّوا بيئة ففي مقابل ذلك يدمرون بيئة أخرى.

فنظام البيئات المحيط بالإنسان الطبيعية كثيرة فضلاً عن نظام النقد العادل، نظام حقوقي عادل، نظام سياسي عادل، بتمام معنى العدالة، نظام أمني عادل، نظام كمركي عادل، نظام إعلامي عادل، كل هذه الأنظمة ولو تنظيراً قد عجزت البشرية عنه تماماً إلى حدِّ هذا اليوم وهذا القرن.

ومن باب المثال الأزمة المالية في أوروبا الآن ما يقارب ثماني سنوات عاجزة البشرية عن حلها ولو تنظيراً فضلاً عن التطبيق، وهذا دليل واضح معجز على التحدي في الآية الكريمة من أن العدالة لم ولن ولاتتحقق إلّا على يد قربى النبي ﷺ من

أهل بيته عليهم السلام المطهرين: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

واللام هنا - أي في الآية الكريمة - هي لام ملكية الإدارة والولاية في التصرف وليست الملكية الشخصية بل ملكية الإدارة لتصرف على الطبقات المحرومة (كي لا يكون دولة بين الأغنياء).

فالعدالة لا تتم في كلِّ أرجاء الأرض إلّا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ولذلك هذا البرنامج - برنامج العدالة - مودع في الإمام المهدي (عج) ومودع بشكل أعظم في الإمام الحسين عليه السلام فإذا وعت البشرية كما يقول البروفسور الألماني (يوخن روبكا)[2] إلى ما تطمح وترغب وتتطلع إليه هو هذا الرجل المهدي وآباؤه عليهم السلام .

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) رئيس جامعة قسم الاقتصاد في جامعة مالبورن الاسترالية.

الإمامة في ذرية الحسين عليه السلام

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان:

إن الله تعالى عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره[١].

إن شدة المحنة التي ابتلي بها الإمام الحسين عليه السلام في الطف جعل الله عزّ وجلّ الأئمة من ذريته، فنور تسعة من المعصومين لا سيما المهدي (عج) جعلهم الله من نسل الحسين عليه السلام جزاءً لما ابتلي به عليه السلام في واقعة الطف كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث حيث قال: (..وخلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالى سماء مبنية وأرضاً مدحية..)[٢]، وهذا يبين أن حمل نور تسعة من الأطهار

(١) الأمالي للطوسي: ٣١٧، بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٤.

(٢) مصباح الشريعة: ٦٤.

يتطلب وصوله عليه السلام إلى مقام خاص، وهذا المقام الخاص ضريبته هو الشهادة التي فيها محن عظيمة وليست أي شهادة، وهذا مقام خاص لسيد الشهداء حتى أصبح أبا الأئمة لعظم وشأن خطورة مقام الإمامة.

إذن مقام الإمامة يتطلب براءة من كلّ الطغاة والجبابرة وطريق الانحراف، لأن حمل الإمامة لها أرضية وهو نوع القطيعة من الظالمين والمنافقين والرجوع إلى الفطرة الإلهية العظيمة.

قبة السماء الحسينية والتربة الروحية

ولم يجعل الله عزّ وجلّ الذرية الطاهرة من صلبه عليه السلام فحسب بل جعل استجابة الدعاء تحت قبته، وليس المراد من هذه القبة القبة الطينية بل قبة السماء من عند قبره حتى شعاع منتهى البصر في الأفق وتلاقي السماء والأرض، بل بمعنى أنه عند الاقتراب من سيد الشهداء لا يكون هناك حاجب من الجبت والطاغوت أو من جبابرة الخلق، بل هناك شفافية خاصة عنده بالاتصال بالساحة الربوبية، فطريق الحسين هو طريق حصد الطغاة والجبابرة. فإن الجبت - كما في اللغة - هو نوع من الجدران الكثيفة، وهذه الجدران أو السدودات التي تكون عقبة وحاجباً عن الوفود على الله تعالى كلها تحصد في طريق الحسين عليه السلام من خلال استجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام ومن ثم فإن تلك البركات السماوية سوف تنزل بعد كسر هذه الموانع الفرعونية وموانع الشرك بالله.

وهذا ليس فقط في استجابة الدعاء بل حتى الشفاء في تربته، ولا نقصد بهذه التربة الجغرافية فحسب بل حتى التربية المعنوية

والروحية والتي هي بمعنى الاقتراب من سيد الشهداء عليه السلام فاستجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام يعني قبول مطلق العبادات، والشفاء في تربته عليه السلام يعني نزول البركات وكل ذلك جاء عن طريق سيد الشهداء:

ومن كلٍّ ما تقدم يتضح أن العقائد وقبول الأعمال مشروطة بإمامته وولايته حيث إن من أصول العقيدة هي الإمامة والذرية من صلبه وكذلك قبول الأعمال، وأما الدعاء الذي تحت قبته فهذا ينبي عن أن أعمالنا مشروطة بولايته عليه السلام .

لماذا لم يخرج الحسين بمفرده؟

هناك إثارة تطرح بين الحين والآخر، وهي أنه لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام بمعية عياله من الأطفال والنساء ولم يخرج بمفرده وهو يعلم بأن الشهادة لا محال منها؟

إن فلسفة وسرّ ذلك أكثر من وجه كما ذكر أكثر من واحد، وقد أجاب عن ذلك الإمام الحسين عليه السلام نفسه عندما سأله محمد ابن الحنفية فأجاب عليه السلام: (إن الله قد شاء أن يراهن سبايا)(١).

ولكن أحد الأسباب المهمة هو أن سيد الشهداء عليه السلام يجسد للبشرية عبرة وقدوة وأسوة، فإن كل إنسان له تعلقات عديدة في حياته الدنيوية من قبيل التعلق بالزوجية، والتعلق بالأولاد، والتعلق بالإخوان، والتعلق بالأصحاب وبالأحبة وبالعشيرة، كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ

(١) اللهوف: ٦٤، البحار: ج٤٤: ٣٦٤.

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[1].

فكلٌّ هذه التعلقات كانت موجودة في واقعة الطف ومع هذا يقدم الحسين على الشهادة ولا تعيقه أبداً بل جندها وعبدها ووظفها وفداها لطريق الدين.

فأخذ عيالاته وكلّ حرمه عليه السلام في عرصة كربلاء وعرصة المواجهة، واضح أن كل هذه الأمور لا تقف جبلاً أو عقبة أمام استبسال سيد الشهداء عليه السلام بل وظفها في سبيل الله، وهذا غير أنه يستشهد بنفسه فقط، فهناك فرق كبير بين أن تستشهد بنفسك وبين أن تأتي بكل شؤون نفسك الأخرى وما لديك وتفديه وتخاطر به إلى آخر لحظة من حياتك.

وليس ما لديك من مال وبنين، بل بما لديك من مريدين ومحبين وأولياء، وهذا يعني أنك تفدي وجودك المعنوي الذين يحملون اسمك في المجتمع تفديهم في سبيل الله وهذا هو الموقع السياسي والموقع الاجتماعي كل هذا وذاك لم يكن عائقاً لفداء سيد الشهداء إلى الله تعالى.

وبسبب كلٍّ ذلك أصبح الحسين عليه السلام مدرسة وجامعة وكتاباً

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

جامعاً في صفحات الشباب وصفحات الأولياء والمريدين والتابعين، يعني صفحات تتصفح في كلّ صفحة ففيها دروس وعبر لشريحة من شرائح المجتمع، ولذا نرى جميع شرائح المجتمع تنجذب لسيد الشهداء عليه السلام شاء أم أبى.

الحور العين من نور الحسين عليه السلام

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (... وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الجنان والحور العين...)[١].

فهناك تناسب في عالم الخلقة والتكوين، فالحور العين مما تزين بالجمال وهذا يعني أن رشحة من رشحات جمال نور الحسين خلقت منه الحور العين، بل كل جمال عالم خلقة الآخرة، وهذا الجمال خزنه الله في الحسين وكما في بعض الروايات أن الحسن والحسين قرطا العرش.

وفي بيان لسيد الأنبياء يضيف أن الحسن والحسين أكرم الناس نسباً حيث روى الأعمش أن النبي صلى الله عليه وآله أتى باب المسجد فقال: يا بلال هلم عليّ بالناس، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقام على قدميه فقال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جدّاً وجدة؟

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام الشاذان بن جبرئيل القمي: ١١٣.

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن جدّهما محمد وجدّتهما خديجة بنت خويلد، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن أباهما علي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن خالهما القاسم؟ بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أشار بيده هكذا يحشرنا الله، ثم قال: اللهم إنك تعلم أن الحسن في الجنة والحسين في الجنة وجدّهما في الجنة وجدّتهما في الجنة وأباهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبهما في الجنة ومن يبغضهما في النار[1].

فإن كلّ الذي يحيط بالحسين جمال ونور، وهذا مثل نواة

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٥٦ (المجلس السابع والستون).

الزهرة، وهذا الجمال والنور أودعه الله في الحسن والحسين عليهما السلام.

وهذا الجمال في الحسين عليه السلام هو الذي يبيّن لنا السبب في انجذاب أهل بيته وأصحابه إليه فوق الميل العقلي المعتاد أي درجة الربيين وهكذا كل جيل بشري سبق زمانه واقعة الطف أم تأخر من الأجيال اللاحقة وهو الذي يفسر هذه القدرة المعنوية على جذب الملايين من البشر في الأربعين وغيرها من المواسم على بذل الغالي والنفيس لأجل الحسين عليه السلام في سبيل الله، والذي يفسر جذب الشهداء للاستشهاد في سبيل الله عندما يهتف بهم لبيك يا حسين.

فالحسين يجعل الموت والقتل - الذي له مرارة وخوف - له حلاوة ولذة.

أصحاب الحسين سادة الشهداء

وليس الأمر مقتصراً عليه عليه السلام وإنما أصحابه لهم منزلة وانجذاب فضلاً عنه عليه السلام فقد ورد نعتهم بسادة الشهداء كما في الزيارة الواردة عن المعصوم (أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة)[1] فما هو سرُّ ذلك؟!

إن محنة الاستضعاف في ملحمة الطف كانت محنة شديدة، لأن احتمال الظفر والنصر كان ضئيلاً جداً، ولم تكن المحنة في أنفسهم فقط بل محنوا في أولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم أن نساءهم سوف تسبى وتسجن كبقية حريم الحسين عليه السلام وكذلك أولادهم وشملهم سوف يشتت، ودورهم سوف تُصادر وتُحرق وهذا كل ما يملكونه سوف يُنسف تماماً. فهم عاشوا أياماً عديدة لهذا الامتحان، وأما الباقون فهم منكفئون على أنفسهم، فمن لم يكونوا أعداء وشاركوا في معسكر بني أمية وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد فهم لا أقل متخاذلون ومنكبون على أنفسهم،

(١) كامل الزيارات: ٣٦، الباب: ٧٩، الكافي ج٤: ٥٧٤.

وكان بعض هؤلاء من الصحابة والتابعين ومن الأسماء اللامعة. بينما أصحاب الحسين عليه السلام عاشوا همّ طلاق الدنيا وليس في لحظة من اللحظات وإنما لعدة أيام، فتارة الإنسان يستشهد فجأة فهو يرى الحدث لحظات ثم يقتل، أما هنا فالأمر مختلف تماماً فهم عاشوا الشهادة لأيام وأسابيع لأن قائدهم بشرهم ونبأهم بكل ما يجري عليهم وعلى عيالاتهم وتراهم يجيبون إمامهم بقولهم: (والله لا نخليك، حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل، ثم أحيى، ثم أحرق حياً ثم أذر ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك)(١).

والآخر يقول: (والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا قتلنا كنا قد وفينا وقضينا ما علينا)(٢). بل كان لديهم اندفاع ونشاط وحيوية، ولم يصبهم أي زلزال أو اضطراب أو تملل نفسي وهذا هو العلوّ في همة النفس ونجابتها.

بل حتى نساؤهم كانت لهن هذه الامتحانات التي بدأت قبل محرم إلى ما بعد عاشوراء التضحية والفداء، فإن دعم هؤلاء النسوة يزيد في الهمة والقوة للرجال.

---

(١) ابن كثير ج٨: ١٧٧، وابن طاوس في اللهوف: ٣٦.
(٢) المصدر السابق.

إذن سؤدد شهداء الطف سببه هذا الامتحان الطويل وفي كل ميادين النفس ولم تكن لهم شهادة بأبدانهم ودمائهم فقط بل شهادات علو نفساني وفي ميادين كثيرة من فضائل النفس، فليس جهادهم كباقي الجهاد كما في شهداء بدر فقد وعدهم الله بالنصر الدنيوي، ولكن في شهداء الطف عاشوا شدة الاستضعاف أي الذي يعبر عنه بالقتل التدريجي ونراهم يتمنون القتل ألف مرة ليس فداءً لسيدهم الحسين عليه السلام فحسب بل لما دونه لأهل بيته كما يقول زهير بن القين: (والله لو وددت أني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك)[١].

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٣١، تاريخ الطبري.

زوار الحسين عليه السلام
ينشغلون بجماله عن الحور العين

إن أساس العلاقة التي بين أولاد الحسين مع الحسين، وإخوة الحسين مع الحسين، وأصحاب الحسين مع الحسين هي الحب، وهذا ليس قصة تكليف، ولا قصة استجابة عقلية، فإن كل أحداث عاشوراء لا نستطيع تفسيرها بأنها دعوة عقلية لطاعة سيد الشهداء عليه السلام لأن هذه الطاقة لا تتولد من العقل ولا من القلب ولا من التكليف (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك)، لأن بعض الأفعال التي تصدر ممن يحيط بالحسين عليه السلام لا تفسر خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة التي هي دعوة العقل، بل لا تفسر إلّا (وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)[1].

وهذا هو الحب، فإن الحب له هذه الطاقة وهذه الحركة، أما حركة قوة التكليف فأقل من ذلك بكثير، ولذلك يقولون الطف حركة حب وليست حركة عقلية بل فوق قوة حركة التكليف

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٤: ٦٧. ١٨٦.

والعقل، ولذلك نرى أن زوار الحسين عليه السلام يوم القيامة ينشغلون بالنظر إلى جمال وجه سيد الشهداء ويتركون أزواجهم من الحور العين حتى تجزع تلك الحور من الانتظار.

فعن زرارة، عن أحدهما عليه السلام أنه قال: يا زرارة ما في الأرض مؤمنة إلّا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام، ثم قال: يا زرارة إنه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين عليه السلام في ظل العرش، وجمع الله زوّاره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنضرة والبهجة والسرور إلى أمر لايعلم صفته إلّا الله، فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكم ؛ يقلن: إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا، فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهم: سوف نجيئكم إن شاء الله[1].

وهذا يعني أن التعلق بالحسين عليه السلام فوق قدرة التكليف العادي وفوق قوة قدرة العقل، ولذلك من أعظم صفات سيد الأنبياء أنه (حبيب الله) وهذا لم ينله أحد من أولي العزم وغيرهم.

وبعبارة أخرى في بعض الخطوات جهنم ليست لها أي قدرة داعوية، وكذلك الجنة بأكملها ليست لها قدرة داعوية باعثية

(١) نوادر علي بن أسباط: ١٢٣ المطبوع ضمن الأصول الستة عشر، بحار الانوار ١٠١: ٧٥، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٢٨ - ٢٢٩.

محركية للإنسان أن يخطوها، ولكن الذي خطا كل هذا هو من يحيط بسيد الشهداء عليه السلام لأن عالم النور أعظم تأثيراً في النفوس جذباً وتحريكاً من عالم الجنان وعالم النيران. ولذلك يترك زوار الحسين عليه السلام الحور العين لأنهم يرون نور الحسين عليه السلام أبهى من الجنة فكيف يتركونه؟ (ما عبدتك طمعاً في جنتك بل وجدتك) وكرر وجدتك وجدتك، (فما الذي فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك؟)، ففي قوله عليه السلام : (فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي...) فما الذي جذبهم إلى الحسين عليه السلام وهم تيقنوا أنهم سيقتلون ويقطعون؟!

إن الذي جذبهم هو نور الحسين عليه السلام والتي هي أكثر قدرة جاذبية من الجنة، وأكثر قدرة محركية من فوق النيران. ولذلك فإن كل طبقة من طبقات المجتمع وكل شريحة من شرائحه وكل سن وعمر من أعمار الإنسان يجد نسخة كمال له متناسبة ومتناغمة في كتاب كربلاء، وكتاب الحسين، وكتاب الطف، وهذا انجذاب عام لسيد الشهداء عليه السلام .

نعم لتسييس الشعائر، لا لتسييس الشعائر

هناك إثارتان متقابلتان:

الأولى: لماذا تسيس الشعائر الحسينية وتأخذ صبغة السياسة وبالتالي سوف تفقد روحيتها وصفاءها ونورها وخلوصها؟

الثانية: لماذا تجعلون الشعائر الحسينية جوفاء وليس لها أي مؤدى ينعكس على واقعنا السياسي؟

الجواب الأول:

في البحوث السابقة كنا نذكر جواباً وسطياً لهاتين الإثارتين وهو: أن المعصوم عدل القرآن فهو القرآن الناطق، ومن هنا فإن المعصوم حاله حال القرآن وحال الوحي وحال الشريعة إن عزلت الشعائر عن الواقع التطبيقي فهو كعزل القرآن عن الواقع البيئي الحياتي، فإذا لم يكن للشعائر الحسينية أي أداء لواقعنا المعاشي وعزلت تماماً - كما في القول الأول - فسوف تكون الحياة معزولة عن الدين وكأنما الدين شيء والدنيا شيء آخر.

ونفس هذا الجواب أيضاً نقوله على الاعتراض الثاني وهو أن

إخلاء الشعائر الحسينية عن مضمونها الأصلي وتصبح بحثاً عن الشجون، وهذا أيضاً عزل للوحي عن الواقع المعاشي ولكن بصورة شعار وهو أن نعالج الشؤون المعاصرة ونغفل حينئذٍ عن رؤى وأنوار الوحي التي نستمدها من القرآن الناطق والقرآن المجسم الذي هو سيد الشهداء عليه السلام.

إذن الطريقة الوسط هي الطريقة المألوفة والمعهودة منذ القديم أنه يستمد من الوحي بشكل مفاد عام، قالب عميق، كبروي، وأيضاً ينقح الموضوع كصغرى وكواقع تطبيقي ليستمد الحلول مع رعاية ودراسة الواقع الموضوعي من الوحي.

إذن هو نوع من المواكبة ولكن لمنهل ونمير العين الوحيانية لسيرة المعصوم ومن ثم تطبق على واقع علاجنا.

الجواب الثاني:

وهناك جواب آخر أعمق وأوسع من الجواب السابق، فنقول نعم لتسييس الشعائر وفي نفس الوقت لا لتسييس الشعائر، بمعنى أن نجعل الشعائر أو القرآن أو الوحي المجندة والمسيّسة إلى سياسات لأشخاص أو فئات فتكون قالباً بيد اتجاهات، فإنه مهما تكون الفئات البشرية المعاصرة ليست هي بأفق المعصوم أو بأفق الوحي فسوف تكون لها خصائصها الشخصانية المحدودة التي تتناولها أو تتجاذبها النزعات الذاتية والنفسانية، والتي ليست لها

سعة بسعة الخلوص عن الذاتيات وعن الأنانيات والعرقيات والقوميات والفئويات إلى رحاب خلوص وخلاص إلى رحاب النظرة التوحيدية الخلوصية الإخلاصية الواسعة الأفق بحسب آفاق الخلقة الإلهية جمعاء. فإن لون الحسين عليه السلام لونه التوحيد، والشعائر لونها لون الدين كله ولجميع البشر والفئات.

أما إذا أريد أن تجيّر الشعائر الحسينية إلى سياسات ضيقة وقزمة بقامة الفئات والجماعات والأشخاص ومن ثم توظيفها لآفاقهم ومآربهم المحدودة بحدودهم وأغراضهم المؤقتة بنزعاتهم الذاتية فسوف تلوث الشعائر الحسينية بتلوث الأنانية الفئوية، لأن هذا نوع من البرثنة لها - الشعائر - في حضيض ذاتيات وأنانيات وفئويات ضيقة، فإن الشعائر الحسينية وسيعة بوسع الدين، ووسيعة بوسع البشرية وبوسع كل الفئات والجماعات، فإذا كانت هذه الشعائر المقدسة تتخذ لأجل جعلها سلاحاً يتخذه بعض الفئات لتمرير أهداف ونظرات محدودة لهم فلا لتسييس الشعائر الحسينية بسياسات جزئية وضيقة.

نعم الدين يعالج الكلي والجزئي، الوسيع والضيق ولكن حصره في الأفق الضيق فهذا غير صحيح إطلاقاً، فإذا كان التسييس بهذا المعنى فنقول لا لتسييس هذه الشعائر المقدسة.

التسييس الإلهي

ولكن من جهة أخرى نقول نعم لتسييس الشعائر إذا كانت بسياسات إلهية واسعة الأفق بسعة المبادىء، وبشفافية خالصة من كدورة العصبيات وتمصلح الفئات، بسياسة يكون مركزها المعصوم وبرنامج مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبرنامج الثقلين، فإن المشروع الكبير الذي لدى الثقلين أضخم من مشروع الفئات أو مشروع القومية الخاصة والفئة الخاصة، فإن مشروع أهل البيت عليهم السلام يمتلك برمجة للفئات وبرمجة للقوميات بل لكلّ الجماعات ولكن في ضمن المشروع الكبير والضخم لسعادة كل المؤمنين وكل المسلمين وكل البشرية بل لكلّ الموجودات التي تنفتح على مشروع الإمام المهدي (عج) وتنفتح على مشروع وأنوار أهل البيت عليهم السلام في أصقاع الأرض.

فبهذا المعنى نقول نعم لهذا التسييس الذي يسعى لإرساء العدالة والعقل والتعقل والرقي العقلي والروحي والمعنوي في سائر الأرجاء ضمن شعار أهل البيت عليهم السلام كشعار المشروع

المهدوي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أي توحيداً ونبوة وولاية وعدلاً.

أما في ظل سياسات ضيقة ومحدودة فلا لهذا التسييس.

الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام

هناك مشاهدة محسوسة عيانية للجميع وهي بمثابة برهان معنوي وفكري وروحي بحسب منطق العلوم البشرية الإنسانية، وبحسب منطق العقل، وبحسب منطق الدين والوحي، وهي أنه يلاحظ في فضاء الجو الروحي لشعائر سيد الشهداء عليه السلام والتعلق به هناك جاذبية روحية خاصة إلى الحسين وأهل بيته وأصحابه المستشهدين معه.

وهذه الجاذبية الروحية ليست لدى المؤمنين فقط بل لعامة البشر فضلاً عن المسلمين. لأنهم منبع روحي كلما تجدد في الخاطر البشري ولكل شرائح المجتمع فسوف يستمد منه حرارة ووهج وتوجيه وإثارة وجاذبية روحية لا تنفد.

وبعبارة أخرى لو قايسنا قدوية جاذبية سيد الشهداء عليه السلام للوهج الروحي والمعنوي عند المؤمنين بل حتى المسلمين الذين يلتزمون - على أقل تقدير - عدم البغض والنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وينظرون إلى الحسين عليه السلام بموضوعية وحيادية فإن

انجذابهم لا يقاس بانجذاب المسيحيين للنبي صلى الله عليه وآله، فإن ما يقومون به من البكاء على النبي عيسى ابن مريم عليه السلام يوم قتله حتى يسيلوا الدماء عليه عليه السلام لا نجد عندهم هذا الارتباط والانشداد الروحي بين محبي الحسين عليه السلام ومن كل فئات البشر بالحسين عليه السلام [١].

إن هذا الانشداد الشديد لو قايسناه مع انجذاب أي ملة بقدوتهم فلم نجد ولانجد هذا العنفوان الروحي وهذا الجيشان الروحي الشفاف القوي المؤثر حتى في خلق المنجذب لسيد الشهداء عليه السلام بحيث يبدله ويغيِّره ويصهره من حيث يشعر أو لا يشعر.

واللطيف أن كل طبقات المجتمع وشرائحه يجدون لوناً خاصاً لهم في مدرسة سيد الشهداء عليه السلام تجعلهم ينجذبون إليه عليه السلام وهذا ليس صدفة عقلاً، فما هذه الدرجة الجمالية أو الكمّ الفضائلي أو الكمّ والمخزون الروحي الهائل الموجود في روح ونور سيد الشهداء بحيث لا ينضب هذا المعين؟

---

(١) فهناك تقارير لـ(BBC) تصرح أن هناك تنامياً في الشعائر الحسينية بعد سقوط النظام ليس في العراق فحسب بل في كل بلدان العالم بما في ذلك الدول الأوروبية وغيرها واعتبروا هذا التنامي بالظاهرة الخطيرة، لأنها ضد الظلم والباطل حيث يقول المراسل أروا دايمون (Arwa damon) مراسم عاشوراء، رمز الوقوف ضد الظلم والباطل.

فلو كان شيئاً معدوداً فمجموعه ينضب، ولكن هو عين ومنهل النمير غير المحدود في سعة مادته فلا ينزف، وهذا شبيه القرآن الكريم الذي يبّين أحد مظاهر الملكوت في الجنة الأبدية من أنه عين لا تنزف، وهذا غير معقول من جهة العلوم الروحية والعلوم العقلية أن البشرية بأفكارها وخواطرها وقلوبها كالفراش تحوم حول شمعة الحسين عليه السلام وهذه الشمعة لا تنطفىء في القلوب والروح وفي انجذاب الروح لها.

وهذا يدل على عصمة سيد الشهداء عليه السلام، بل أعظم من قضية العصمة فإنها تدل على مرتبته عليه السلام في الاصطفاء الإلهي ففي الجذب الروحي يغاير مرتبة النبي عيسى عليه السلام وغير مرتبة باقي الأنبياء مع اتباعهم، فلم نجد هكذا انجذاب لأتباع موسى أو عيسى أو إبراهيم أو يحيى أو داود عليهم السلام لهؤلاء الأنبياء وغيرهم، بحيث يذوبون ويتماوتون لأنبيائهم كما نجد ذلك في أتباع الحسين عليه السلام ومن عامة المسلمين والبشر عدا النواصب في انجذابهم إلى الحسين عليه السلام بلا كلل أو ملل، فإن الكلل والملل لا يرفعه الشعر أو الخيال بل تغذيه الحقائق وتغذيه الحقيقة الروحية الحارة في عالم الروح وفي عالم الكمالات.

إن لقتل الحسين حرارة

فلا نجد أي عزوف عن الحسين عليه السلام بل تجدد لا يبلى، وهذا - كما مرّ - شبيه القرآن الكريم فإن الحسين عليه السلام عدل القرآن، فكما أن القرآن لا يبلى لأنه يانع أكثر فأكثر فهكذا قضية الحسين عليه السلام فإنها تزداد اشتعالاً ونوراً في الأجيال القادمة، وهذا ما صرح به النبي صلى الله عليه وآله: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً[١].

إن هذه الحرارة لا توجد عند قلوب المؤمنين الصالحين فحسب بل حتى عند غير الصالحين، وهذا برهان واضح على علوٌ روحي ومخزون لديه عليه السلام ترتوي منه هذه القلوب، وهذا ليس تعبيراً عاطفياً أو تعبيراً نثرياً أو شعرياً بل بمعنى فلسفي، عقلي، منطقي، بحسب العلوم الروحية، باعتبار أن هناك نوعاً من ارتباط الأرواح تطلع وترائي بين الروح والروح، ونوع من الاتصال،

(١) مستدرك الوسائل: ج١١: ٣١٨.

وهذه المصطلحات باتت واضحة لدى البشر في العلوم الروحية في شرق الأرض وغربها، وليس قولنا هذا من قبيل اصطلاحات وسفسطات وهلوسات باطنية بل هذه الأمور أصبحت من الأمور العلمية الواضحة لدى البشر.

وهذا الارتواء الذي في النفوس لا ينقطع وبلا فتور جيلاً بعد جيل، ولا نجد من يضخ هذا العطاء الروحي حتى المسيح ابن مريم أو بقية الأنبياء عليهم السلام في البشر عدا سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء وذريتهم الطاهرة، نعم سيد الشهداء له مكانته الخاصة (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) كما يقول الإمام الحسن عليه السلام بل كل الأئمة عليهم السلام فلا يوم بمعنى أن عالم الحسين عليه السلام عالم خاص، فلا يمكن أن يكون هذا الانشداد والانجذاب من فراغ روحي وإلّا فكيف يصير عطاء من هذا النموذج الروحي الذي يتمثل مثاله حذاء الأرواح، لأنه كعبة القلوب وكعبة الأرواح التي تطوف حولها تلك الأرواح دائماً، وأصبح مركزية للأرواح والأفكار والقلوب فهو عليه السلام ممد الأرواح وممد النفوس بهذه الفضائل الجمالية حيث ينتشلها من براثن واقعها إلى سمّو ما هو يتحلى به من جمال ومن فضائل ومن نور وصفاء، فلا يُطفأ روحياً ولا معنوياً، وهذا مما يدل على موقعية سيد الشهداء عليه السلام وفضيلته ومقامه بالقياس مع بقية البشر.

الفهرس